ثقافة

صباح القصيد

يا قلب ما أطول هذا الغرامْ ... يوم نوى الحي ويوم المقامْ
مقيمة عندك أشجانهم ... وَلا يُلاقُونَكَ إلاّ لَمَامْ
لم ينقعوا الظمآن من غلة ... ولم يبالوا طرب المستهام

الشريف الرضي

يحدث في الكويت

في زمن «ويكيليكس».. يمنعون الكتب!

مبكرا جدا بدأ صراع المثقفين مع الرقابة في الكويت قبل بدأ معرض الكتاب السنوي، وذلك بعد منع الأعمال الكاملة للشاعر وديع سعادة، وهو ما تعرضت له **القبس** في مقال سابق، ثم أصدر مركز «تنوير» بيانا أعلن فيه رفضه للرقابة، بل قرر أن يكون الموضوع جزءا من نشاطه الثقافي لهذا الموسم.

لكن عندما يدور الحديث عن الرقابة ومنع الكتب، يتبادر إلى الذهن موقع «ويكيليكس» الذي أحدث ما يشبه الزلزال، عندما قام بنشر البرقيات والوثائق السرية الممنوعة من النشر، وأصبح ما كان ممنوعا متاحا أمام القارئ في أركان العالم الأربعة، لكن الغريب أنه في زمن «ويكيليكس» الذي أصبح فيه «السري للغاية» مباحا ومقروءا، ما يزال «الرقيب» يفكر بعقلية الوصاية، فأين يقف المثقف الكويتي من القضية؟

محمد حنفي

يري الكاتب فاخر السلطان، أحد أعضاء مركز حوار للثقافة (تنوير)، الذي دشن منذ أيام حملة «لا للرقابة» على الكتاب، أنه من المضحك أن تتواجد في دولنا لجان مهمتها الرقابة على الكتب، في ظل هذا التطور التكنولوجي الهائل الذي يعيشه العالم، وفي ظل الحديث عن العولمة والتطور الهائل في وسائل الاتصال والمعلوماتية.

ويشير السلطان إلى أن الرقابة على الكتب لا توجد سوى في دولنا، لأنها مازالت تخاف من المواطن، عندما ينعم بالحرية، وخاصة حرية اختيار موضوع الكتاب الذي يقرأه او ينشره، ويعزو ذلك إلى الوضع السياسي الذي نمر فيه، حيث أصبحت الثقافة والفكر والكتب ضحايا للسياسة، ويعتقد أن هناك ضرورة ملحة لفصل الفكر عن السياسة، لأنه في النهاية سيكون الفكر في مصلحة الوضع السياسي.

انعدام الثقة

ويشير السلطان إلى أن الرقابة على الكتب تعني أيضا عدم ثقة في المواطن، وكأننا نحتاج إلى وصاية على المواطن والثقافة ككل، بحيث نقول له ماذا يقرأ وما يجب أن يتجنب قراءته، العالم كله تغير ولم يعد للرقابة وجود في دول العالم الحر، والناس حاليا يبحثون عن المعلومات، وستصل إليهم سواء وجدت الرقابة ام لا.

وأخيرا يؤكد السلطان أن الممنوع مرغوب، والرقابة سترتد ضد أصحابها مرة أخرى، لأنها ستفشل في النهاية في منع الكتاب عن المواطن الذي سيتحداهم، وسيبحث عنه وسيصل إليه، مازال البعض يعيش في فترة الستينات، ما يجب أن يفهمه الرقباء ان تقنية المعلومات كفيلة بتوفير كل المعلومات الممنوعة مهما فعلت الرقابة من إجراءات.

البشر ليسوا أخياراً

تشير الكاتبة حياة الياقوت، رئيسة تحرير دار ناشري للنشر الإلكتروني، الى أن قضية منع الإنتاج الفكري تعاني من طرفين؛ طرف طوباوي يظن أنه يمكننا فعلا أن نعول تماما على ضمائر الناس ورقابتهم الذاتية، وطرف آخر يرى أنه يمكن للمجتمع أن يتقوم ويكون فاضلا بأن يكون هناك من يقرر عنه ماذا يجب أن يقرأ. وأرى أن كلا الطرفين يحلم بالمدينة الفاضلة، بنسخ مختلفة منها.

وتؤكد الياقوت أن المشكلة أن هناك من يرى قضية المنع وينافح عنها من زاوية واحدة، وهي زاوية الحجر على الرأي المخالف، لكن هذا نوع واحد من أنواع منع الكتب، فهناك كتب تمنع لأنها خطرة، أو عنصرية، أو تجريحية، أو تحتوي معلومات مغلوطة أو حتى قاتلة. مثلا، ألا يحق لكيان ما (دولة، مكتبة، مدرسة، أو والدان) منع كتاب يحتوي مثلا على طريقة لإعداد عقاقير منزلية لا تمت للطريقة العلمية بصلة؟ طالما أن هناك من يتضرر، ستكون هناك رقابة. قد تكون رقابة سابقة، أو قد تكون لاحقة بحكم قضائي، لكنها ستظل موجودة حتى لو تمنى كل البشر عكس ذلك. وفتح الباب على مصراعيه، معولين على فكرة أن جميع البشر أخيار وغير منحازين، ظن ساذج وغير عملي. وكما قال عثمان بن عفان رضي الله عنه: «أن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن».

حياة الياقوت: هل ستفنى الرقابة؟ يؤسفني أن أخيب آمالكم وأقول لا!

قراءة واقعية

وتتمنى الياقوت ألا يفهم أنها قد تكون سعيدة بالمنع، فهناك كما ترى ألف طريقة وطريقة لتجاوزه، أنا هنا فقط أعبر عن قراءتي الواقعية لقضية يتعامل معها معظم العرب بعاطفية، عليّ أن أشير هنا إلى أني لا أحبذ المنع الذي يطال الآراء لسبب براغماتي على الأقل، فأثبتت التجارب أن منع أي كتاب يساهم في انتشاره، فمن الغبن المساهمة في نشر الكتب الرديئة، فلندعها تذوي بنفسها، أو فلنرد عليها وللتنافس في الأفكار، وليكن البقاء للأصلح، هذه الثورة المعلوماتية التي ولدّت ثروة فتحت آفاقا شاسعة، لكن هل ستفنى الرقابة؟ يؤسفني أن أخيب آمالكم وأقول لا!

الرقابة على طريقة «بدرية»

أما الشاعر والباحث إبراهيم الخالدي، فيؤكد أنه ضد الرقابة المسبقة، ويشير إلى أن الحالات التي منعت فيها كتب في الكويت قليلة ونادرة، ورغم أنه ضد الرقابة فإنه يوافق عليها عندما يتعلق الأمر بأمور تمس الثوابت، ويرى الخالدي أن مقولة «لا خطوط حمراء» غير واقعية، ويضرب مثالا بالفيلم المسيء للإسلام الذي اشعل الأوضاع في العالمين العربي والإسلامي.

لكن الخالدي يشير في الوقت نفسه إلى أن المشكلة ان غالبية الكتب التي تمنع وتصادر تكون كتب ذات موضوعات جرئية بعيدا عن هذه الثوابت، ويضرب الخالدي مثالا برواية «بدرية» للأديب وليد الرجيب، التي

إبراهيم الخالدي: دعوا الكتب تصدر.. وعلى المتضرر اللجوء إلى القضاء

فاخر السلطان: عدم ثقة بالمواطن ووصاية عليه تتنافى مع منطق العالم الحر

يعتبرها مثالا شهيرا على بطش الرقابة وعدم منطقيتها.

ويتمني الخالدي أن تتميز الرقابة بالوعي ويكون لدى مسؤوليها بعض الثقافة لكي تكون لديهم القدرة على الفرز بين الغث والسمين، على أن تكون هذه الرقابة إن وجدت بعد نشر الكتاب وليس قبله، لأنه سيكون من الصعب على الرقابة الحكم على كتاب من مسودته، وبعد نشر الكتاب فليلجأ المتضرر إلى القضاء، على حد قول الخالدي.

ناصر الشمري: صودرت أربعة كتب من مكتبتي ثم تبيّن أنها مجازة من الرقابة!

قضية فاشلة

أما د. ناصر الشمري، مدير مكتبة آفاق، فيؤكد أن الرقابة قضية فاشلة، ولا توجد إلا في الدول المتخلفة، ويؤكد الشمري أن الحديث عن الرقابة ومنع الكتب أصبح عبثا في زمن لم تعد فيه ممنوعات في العالم كله، بسبب ثورة الاتصالات والتقدم التكنولوجي اللذين أصبح عن طريقهما يمكن الحصول على أي كتاب ممنوع بضغة زر.

ويروي الشمري قصة حدثت له مع الرقابة، فبالرغم من أن الشمري يؤكد أن مكتبة آفاق لديها حذر فيما يتعلق بالكتب الممنوعة، فإن ذلك لم يمنع الرقابة من سحب أربعة كتب من تلك المعروضة بالمكتبة، بحجة أنها كتب مصادرة وممنوعة من العرض، وبعد ان تم تحرير قضية في حق المكتبة اكتشف المسؤولون في الرقابة المفاجأة وهي أن الكتب الأربعة مجازة من الرقابة، وتم تصحيح الأمر.

نكتة حقيقية

وأخيرا تعتبر الكاتبة بثينة العيسى أن الرقابة نكتة حقيقية في زمن التكنولوجيا، حيث تشير إلا أنها كانت تعتقد في البداية بأنها «غباء سلطوي»، ولكن سرعان ما تراجعت، تقول العيسى: السلطة ليست غبية بالمرة، كل ما في الموضوع أن الرقابة واحدة من أدوات السلطة التي تستخدمها من أجل مغازلة تيارات متطرفة لا ترتاح إلا بقمع الفكر وإقصاء الاختلاف وتقويض حقنا بالحياة في مجتمع متعدد ومدني.

مسارات

الرقابة.. لعبة النفاق المحسوب

في التحقيق الذي تنشره **القبس** اليوم حول مشكلة الرقابة في الكويت، وهي قضية تطال عالمنا العربي كله، آراء ومواقف لا يمكن المرور عليها مرور الكرام، تقول الروائية بثينة العيسى: «إن الرقابة واحدة من أدوات السلطة التي تستخدمها من أجل مغازلة تيارات متطرفة لا ترتاح إلا بقمع الفكر».

تلفت العيسى نظرنا بعبارتها الموجزة إلى قضية أبعد بكثير مما يبدو على السطح. فهي تعرف كما جميعنا يعرف، والرقابة لا تستثنى من هذه المعرفة، أن لا حظر حقيقي لأي كتاب أو معلومة أو مشهد اليوم، وهي تعرف كما جميعنا يعرف أن الرقابة لم تمنع فقط تلك الكتب المثيرة لنعرات طائفية، أو تتضمن ابتذالا أخلاقيا لا يمكن احتماله، والا فهي في الغالب تمنع دواوين لشعراء كبار يعدهم نقاد العالم العربي شعراء مؤسسين من أمثال وديع سعادة، ولروائيين ذائعي الصيت مثل جمال الغيطاني وعلاء الأسواني، ولكتاب يعتبرون اسلاميين معتدلين مثل فهمي هويدي.

وهي تعرف كما جميعنا يعرف أنه لم يحدث أن قارئا لديوان شعر تحول إلى قاتل أو إرهابي، أو أن شبابا أداروا ما بينهم رواية تحولوا إلى جماعة مناهضة ومسيئة للمجتمع؟ وهي تعرف كما جميعنا يعرف أن بعض أشكال الصراع السياسي كانت تبلغ حدا من التنابذ يستحق التدخل الرقابي أكثر من أي رواية أو كتاب. وهي تعرف كما نعرف أنه الرقابة الحقيقية هي عملية النقد التي يجريها قارئ حصيف ربته المدرسة والمجتمع على عقلية نقدية تفرز وتنتقي وتعلق ولا تقبل، بما هو مكتوب كمسلمة، فالأحرى أنه عوضا عن الحديث عن الرقابة لابد من سؤال المؤسسات التعليمية والتربوية عما قدمته من سلاح نقدي لعقول أبنائها.

وهي تعرف كما نعرف أن الرقابة في بلد حر ينبغي أن تكون، إن كانت أصلا، تعبيرا عن صوت المجتمع الذي من حقه وحده أن يقبل أو يرفض، فهل الجهات الرقابية في مجتمعاتنا العربية منتخبة بالفعل من قبل هذا المجتمع؟ هل تعرض عليه أسباب وتفاصيل عملها، أم تتصرف معه كالأب، بمعايير فات أوانها حتى بالنسبة للآباء الحقيقيين، باحتكارها معرفة مصلحته كأنه طفل قاصر، فهي تهينه من حيث تدعي حمايته؟

عبارة الراوية بثينة العيسى تشير إلى نوع من النفاق المحسوب، لعبة يفهمها جميع الأطراف، لأن حقيقتها تقع في مكان آخر لكن ضحيتها الحقيقية ليس المثقف وحده بل المجتمع كله، الذي يعتاد تدريجيا على ألا يقرأ إلا ما يهادنه، ولا يعرف من العالم الا ما يوافق صورته، وليست لديه القدرة على معرفة ذاته بعين الآخر.. طبيعي بعد كل هذا أن تأخذ أشكال الاعتراض على كل ما يعتبره اساءة لثقافته هيئة العنف والصراخ الطائش، ثم يجد صورته تزداد اهتزازا وهشاشة، لأنه عاش في سجن جميع مراياه تعكس له صورة واحدة لذاته، وكل كلمة تأتيه من الخارج هي بمنزلة حجر يهشم هذه الصورة. الرقابة قد تكون مسؤولة إذاً عكس المأمول تماما في اهتزاز صورتنا أمام أنفسنا والآخرين.

مهاب نصر

متابعات

40 فناناً كويتياً على منصة «سيأتي السلام يوماً»

● فنانون كويتيون ينظمون فعالية «سيأتي السلام يوما» في اليوم العالمي للسلام

يحيي مجموعة من الشباب والفنانين الكويتيين غدا فعالية «يأتي السلام يوما» على أرض الكويت، تزامنا مع اليوم العالمي للسلام، وتتخللها أنشطة فنية وثقافية وموسيقية، وذلك في منصة الفن المعاصر بمنطقة الشويخ الصناعية.

وأوضح الفنانون ان هذه الفعالية معنية بتفعيل الوعي الوطني والاقليمي بالسلام، وتجمع تحتها جميع أطياف المجتمع الكويتي، وذلك لابراز دور الفن والأدب بأنواعه في نشر السلام، ودور الفنانين والناشطين في نشر هذه الفكرة وتعزيزها.

وقالت الفنانة التشكيلية، وأحد المتطوعين لتنظيم فعالية «سيأتي السلام يوما»، أميرة بهبهاني، ان العالم منذ 30 عاما بدأ الاحتفال باليوم العالمي للسلام، الذي يصادف 21 من شهر سبتمبر الجاري، مبينة ان فعالية «سيأتي السلام يوما» اطلقها في عام 2006 صانع الأفلام الوثائقية والممثل البريطاني جيريمي جيلي، بعد أن وافقت عليها واعتمدتها الجمعية العامة للأمم المتحدة. واشارت الى مشاركة الكويت بهذه الفعالية من خلال عدد من الأفراد والفنانين المتطوعين للتنظيم للمساهمة في نشر السلام والمساواة ونبذ العنصرية، موضحة ان الفعالية ستتكون من معرض تشكيلي وفوتوغرافي، بالاضافة الى مسرحية دمى تتخللها موسيقى ألفت خصيصا لهذه المناسبة.

من جانبها، قالت الفنانة شروق أمين، أحد المنظمين، ان الفعالية قامت على اسس تطوعية غير ربحية، وان الفنانين الذين فاق عددهم الـ 40 مشاركا ومشاركة، قدموا لوحاتهم ومعروضاتهم من دون مقابل مادي، وذلك مساهمة في دفع عجلة السلام في العالم.

وذكرت أمين ان الفعالية تتخللها انشطة اخرى، مثل مشاركة فريقي «كويت رايدرز»، و«فينيشان رايدرس»، في استعراض دراجات نارية من منطقة البدع الى موقع الفعالية، فضلا عن مشاركات لعدد من الدول العربية، مبينة ان ريع المنتجات واللوحات المشاركة سيذهب الى منظمة «سيأتي السلام يوما»، لدعم قضيتهم بنشر السلام وإيقاف اطلاق النار في هذا اليوم.